العدد الخامس والعشرون
2008

مجلة كلية

الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1376 من وفاة الرسول ﷺ الموافق لعام 2008 مسيحي

- دقة التعبير في نهايات الآيات القرآنية
- الإيقاع النثري (صوره وخصائصه)
- صورة بلنسية في الموروث الأندلسي
- دور الإسلام في التواصل بين مناطق الساحل والصحراء الإفريقية

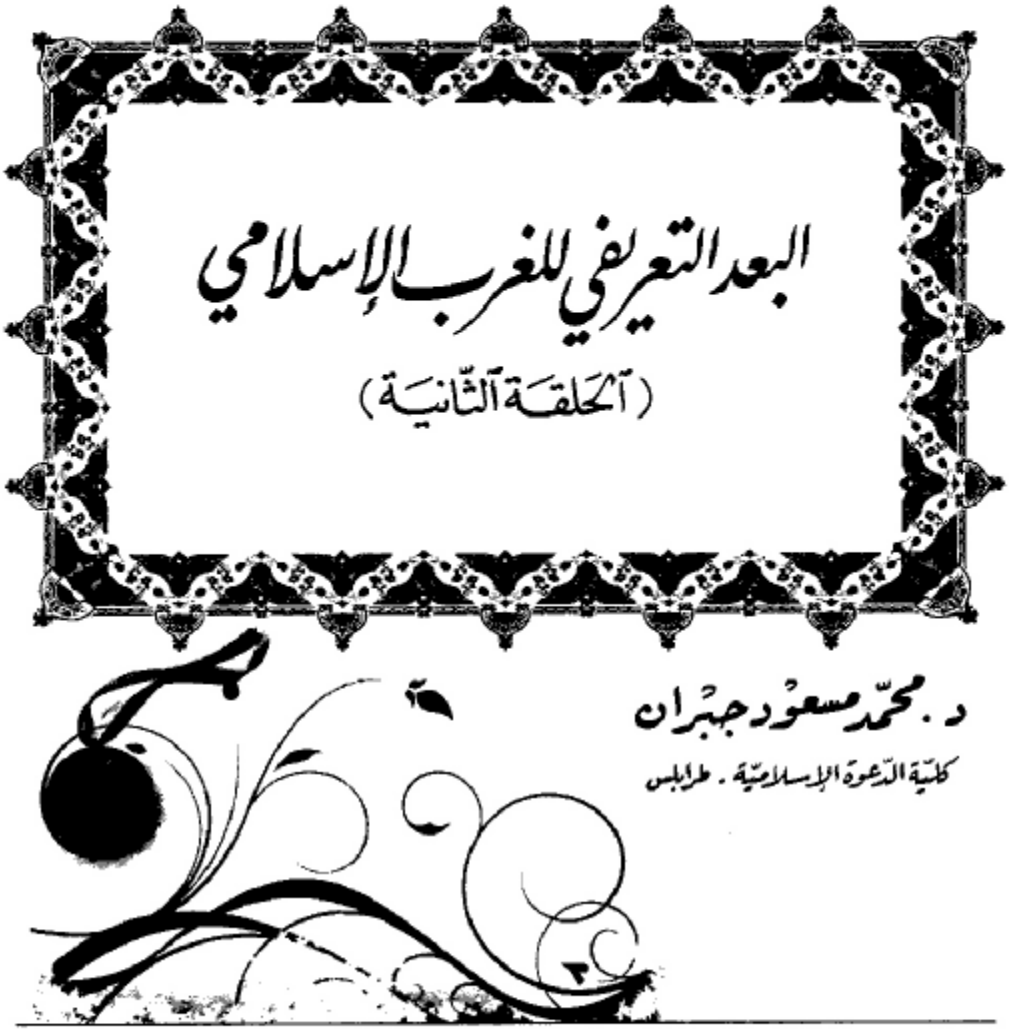

ثانياً ـ مظاهر التقدُّم المعرفي والعلمي:

فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى الحديث عن الأفق المعرفي والفكري والأدبي والثقافي بصورة عامة، فإننا نجد أنَّ الغرب الإسلامي بأقاليمه المختلفة والمتباعدة قد أسهم ـ عبر تاريخه الإسلامي ـ مثل الشرق الإسلامي في إثراء الحضارة الإسلامية والإنسانية بنصيب كبير في ظل الدول والحكومات المختلفة ـ ليس في العلوم والفنون الإسلامية فحسب، وهي علوم المقاصد من تفسير وحديث وفقه وأصول فقه وغيرها، وعلوم الآلة مثل النحو والصرف والبلاغة

والأدب والنقد والعروض والإنشاء، بل في العلوم التي تعرف بعلوم الأَوائل، أو العلوم الدقيقة والبحتة مثل الحساب والهندسة والجبر والفلسفة والفلك والطب والزراعة وغير ذلك.

وما من ريب في أَنَّ الحديث في هذا الأُفق المعرفي والأدبي والثقافي واسع ورحيب لذلك فإنَّنا سنتكلم عنه بالكثير من الاختصار في محورين أساسيين:

1 ـ محور المراكز العلمية، والمؤسسات الثقافية المتمثلة في المساجد والجوامع والمدارس الكبرى، ودور العلم التي كانت تشيع في ربوع الغرب الإسلامي، بل في أوروبا ـ المعارف والعلوم والآداب، وما كان يلحق بهذه المراكز والمؤسسات من مكتبات خاصّة وعامة.

2 ـ محور مشاركات علماء الغرب الإسلامي وأدبائه ومفكريه في الحقول المعرفية المتنوعة، والإيماء إلى جملة من إنجازاتهم العلمية والأدبية والفنية التي أبدعوها، وخلدوا بها.

1 ـ فمن مظاهر الحضارة التي عرفها الغرب الإسلامي بأجزائه الثلاثة الكبرى فيما يتصل بالمؤسسات العامة ذات الفاعلية في نهضته العمرانية والثقافية ما نشأ فيه من كثرة المساجد والجوامع الكبرى والمدارس التي أدت أدواراً فاعلة في نشر الدين والعبادة الإسلامية، وبث العلم الديني والمدني، كما ساهمت في ربط المجتمع الإسلامي من النواحي العقدية والاجتماعية، وعملت على تنظيم أفراده في أحوال السلم والحرب، بحيث يمكننا القول إن المساجد والجوامع والمدارس والمعاهد العلمية المختلفة تأتي في تاريخ هذا الغرب الإسلامي في مقدمة المؤسسات الاجتماعية العامة التي نهضت بدور مؤثر في سباق الحياة العامة عبر عصور التاريخ الإسلامي في هذه المنطقة، ونكتفي هنا بذكر أبرزها، باعتبارها من المؤسسات والمراكز العلمية التي أسهمت في نشر العلوم والآداب والفنون، وعمَّرها كبار العلماء والفقهاء والأدباء واليحسوبيين والأطباء وغيرهم

من الأعلام الذين كان لهم ذكر وتأثير في حياة الإسلام والعالم. ففي طرابلس الغرب (ليبيا) وهي من بلدان المغرب الأدنى نذكر الجامع الذي أَسسه الفاتح المسلم عمرو بن العاص، قيل في الموقع الذي يعمره اليوم جامع أحمد باشا القره ماننللي، فقد أدّى هذا الجامع في القديم والحديث دوراً بارزاً في إرساء العقيدة الإسلامية ونشر التعليم، وربما كان المقصود بالوصف في كتب التاريخ بالجامع الأعظم وكما أسَّس عمرو بن العاص هذا الجامع في قصبة المدينة قرب باب هوَّارة، أَسَّس أيضاً مسجداً آخر في زنزور[1].

وأغلب الظن أَنَّه أَسَّس مع الفاتحين المسلمين في حملة الفتح المباركة مساجد أُخرى في الجبل الغربي وغيره، كما أَسَّس عبد الله بن الزبير مساجد وجوامع في الجهة الغربية من طرابلس مثل منطقة صبراتة التي فتحت على يديه[2].

وما من ريب في أنَّ الفاتحين قد بنوا أيضاً مثل ذلك من المساجد والجوامع في أراضي برقة وأجدابية وسرت قبل وصولهم إلى طرابلس، يقول الدكتور عبد اللطيف البرغوثي: «وإذا راجعنا ما طالعناه من البناء والعمران قبل قليل فإننا سنلاحظ أنَّ المساجد والجوامع والمصليات أقيمت في كل مكان دخله الإسلام، بحيث لم تكن هنالك جماعة مسلمة دون جامع أو مصلّى، حتى في الأماكن النائية في أعماق الصحراء الليبية»[3].

ومن الجوامع المشهورة التي عرفت في تاريخ هذا البلد مسجد الشعاب بطرابلس نسبة إلى أبي محمد عبد الله الشعاب أحد الصلحاء والعارفين[4] ومسجد الجدّة، نسبة إلى إحدى جدّات بني الأغلب التي قامت ببنائه[5] ومسجد

(1) تاريخ ليبيا الإسلامي للدكتور عبد اللطيف البرغوثي: 42، 43.
(2) م. ن.: 43.
(3) راجع «تاريخ ليبيا الإسلامي»: 290.
(4) م. ن.: 291.
(5) م. ن.: 292.

المجاز الذي أقام فيه وسكنه أبو الحسن علي بن أحمد بن الخصيب[6] وجامع الناقة الذي أُسس في القرن الخامس الهجري بمساعدة من الدولة الفاطمية إبّان رحيلها من تونس إلى مصر، فكان تأسيسه متزامناً مع تأسيس الجامع الأزهر وبنائه[7] وقد عرف في الجانب الآخر من المغرب الأدنى (تونس) المسجد الجامع بالقيروان الذي أسسه كما هو معروف ـ عقبة بن نافع سنة (50هـ/ 670) ثم هدم وأعيد بناؤه من جديد نحو سنة (86هـ/ 705) وزيد فيه بعد ذلك على عهد الخليفة هشام بن عبد الملك سنة (105/ 723) وفي العهد الأغلبي عهد زيادة الله بن الأغلب سنة (221هـ/ 835) أمر بهدمه والزيادة في بنيانه، ولا خلاف بين الباحثين والدارسين أنَّ هذا الجامع نهض في جلّ التاريخ الإسلامي بهذه البلاد التونسية بنشر الإسلام، واللغة العربية والفقه والتفسير بل امتد هذا الدور إلى البلاد المجاورة في شمال أفريقيا وفي غربها، ولم يضعف إلا في العهد الفاطمي، يقول الأستاذ محمد عبد الرحيم غنيمة «وكانت جامعة القيروان مركزاً ثقافياً هاماً في أفريقية الشمالية كلها في العصر الأغلبي وظلت كذلك حتى جاء الحكم الفاطمي، وقسا أصحابه على أهل السنة وعلمائها من شيوخ القيروان»[8].

أما الجامع المعمور المشهور في تونس، فهو جامع الزيتونة الذي قام فيما بعد ضمور دور المسجد الجامع بالقيروان بأعبائه، وعمل في غير ضعف أو فتور بدوره البارز في الدعوة إلى الدين ونشر ألوية ثقافته ومعارفه.

ومن المعلوم أن عبد الله بن الحبحاب عامل الدولة الأموية هو مؤسس هذا الجامع في سنة (114هـ/ 732) وأن الدولة الأغلبية أعادت في عهدها بناءَه، ثم ازدهرت أعماله الدينية واللغوية في عهد الدولة الحفصية، واستمر في أداء

(6) م. ن.: 292.

(7) م. ن.

(8) تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى: 41، وراجع كتابات «القيرواني عبر عصور الحضارة الإسلامية في المغرب العربي للدكتور الحبيب الجحاني».

دوره المؤثر إلى يومنا هذا بما نشر من علوم ومعارف، وبما نبت بين أساطينه وحلقه من علوم وأعلام أفذاذ أغنوا الثقافة الإسلامية وعلومها بروائع التصانيف، وبدائع التآليف، والجوامع والمساجد في البلاد التونسية على صغر مساحتها ـ لا تكاد تحصى كثرة وانتشاراً، يكفي أن نذكر منها هنا جامع القصبة وجامع القصر، وجامع المهدية[9].

ومن جوامع صقلية الملحقة في التاريخ الإسلامي بتونس ظهرت جوامع كثيرة، قال الدكتور عزيز أحمد «وكان عدد المساجد ببلرم يزيد عن عددها في أية مدنية إسلامية أُخرى[10]، ومما ذكره ابن حوقل أثناء زيارته لها قوله «وكان الناس يتباهون بأنّ لهم مساجد خاصّة بعائلتهم ومواليهم»[11].

ومن الجوامع الكبرى التي تأسست وبرزت في المغرب الأوسط (الجزائر) الجامع الأعظم وغيره من الجوامع الأخرى مثل جامع تلمسان الذي بناه علي بن يوسف المرابطي[12] وظهر من الجوامع المشهورة في المغرب الأقصى والتي نهضت بدور بارز في نشر العلم والمعرفة في الغرب الإسلامي وفي غرب أفريقيا بل امتد دورها العلمي والمعرفي إلى أوروبا جامع القرويين بفاس الذي زخر في تاريخه الطويل بالعلم والأعلام، ومؤسسته فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني وقد أسسته في سنة (245هـ/ 859) تقرباً إلى الله تعالى، كما أسست أختها في الزمن المذكور جامع الأندلس، إلا أنه لم يبلغ في شهرته جامع فاطمة[13].

وقد أشار العلاّمة عبد الله كنون في كتابه «التعاشيب» إلى أن نجم جامع القرويين قد ابتدأ يلمع في سماء العلم منذ أوائل القرن الثالث وأوائل القرن

(9) راجع: سبك المقال لفك العقال لعبد الواحد بن الطوّاح.
(10) تاريخ صقلية الإسلامية: 47.
(11) ابن حوقل، صورة الأرض.
(12) راجع: «موجز التاريخ العام للجزائر»، و«الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس».
(13) ابن أبي زرع «الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس».

الرابع[14] وقد قسم الشيخ كنون حياة هذا الجامع العلمية إلى ثلاث مراحل هي: مرحلة الدولة الموحدية التي شملت المرحلتين الأولى والثانية، أما المرحلة الثالثة فقد حصرها في عهد السلطان محمد بن عبد الله العلوي[15]، وغير خاف ما عرف به جامع القرويين منذ تأسيسه إلى الآن من العناية بالدين والتفسير والحديث والفقه والأدب والتاريخ والعلوم العددية والطبية[16].

ومن الجوامع الشهيرة في المغرب الأقصى نشير إلى جامع الكتبية بمراكش الذي بناه الخليفة عبد المؤمن بن علي، وإلى الجامع الكبير الذي بناه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن في مدينة رباط الفتح وجعل مئذنته على هيئة منارة الإسكندريَّة[17].

وغير خاف أن الأندلس عرفت هي الأخرى عدداً كبيراً من المساجد والجوامع التي عملت على نشر الإسلام والدعوة إليه، وعلى نشر العلم والمعرفة، حيث تخرج بها أفذاذ من العرب والعجم في شتى العلوم والمعارف، ومن أظهر هذه المساجد والجوامع جامع قرطبة أو الجامع الأعظم الذي تأسس في عهد عبد الرحمن الداخل سنة (170هـ/ 786)[18].

كما نشأت إلى جانب تلك الجوامع الكبرى مدارس رسمية وأَهلية على نحو ما نشأ في دول المشرق العربي والإسلامي[19] ويكفي أن نذكر من أسمائها في هذا السياق ما تأسس في المغرب الأدنى مثل المدرسة المستنصرية في منطقة باب البحر في طرابلس الغرب في الموضع الذي عليه اليوم زاوية عثمان باشا[20]

(14) راجع كتاب التعاشيب، 90، 91، تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى: 43.
(15) «التعاشيب»: 44.
(16) راجع «النبوغ المغربي في الأدب العربي» و«المغرب عبر التاريخ».
(17) الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس: 398، 399.
(18) راجع «الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس»، و«تاريخ الفكر الأندلسي».
(19) راجع كتاب: «تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى للأستاذ محمد عبد الرحيم غنيمة.
(20) راجع بحثنا عن العلامة عبد الحميد بن أبي الدنيا في أعمال ندوة التواصل الثقافي.

وقد أسس هذه المدرسة العلاّمة الطرابلسي عبد الحميد بن أبي الدنيا على عهد الخليفة المستنصر الحفصي[21] وقد حلَّ فيها عدد لا يحصى من العلماء المغاربة والأندلسيين، في طليعتهم العالم الأديب ابن سعيد الأندلسي.

ومن المدارس المهمة التي ظهرت في عهد الدولة الحفصية بتونس التي عنيت كما ذكر العلامة حسن حسني عبد الوهاب بالمدارس وعمرانها المدرسة الشماعية بسوق الشماعين وقد أنشأها مؤسس الدولة أبو زكريا الحفصي في عاصمة ملكه سنة (647هـ/ 1249)[22] ومدرسة الهواء التي يطلق عليها المدرسة التوفيقية التي أسستها الأميرة عطف زوج أبي زكريا الحفصي ووالدة المستنصر سنة (650/ 1252)[23] والمدرسة المعرضية التي تأسست سنة (683/ 1284)[24] وقد أشار الأستاذ عثمان الكعاك ـ رحمه الله ـ إلى عدد من المدارس التي ظهرت في المغرب الأوسط أو الجزائر، فذكر المدرسة الجديدة أو التاشفينية والمدرسة اليعقوبية التي أسسها أبو حمو موسى الثاني، ومدرسة العباد قرب تلمسان، ومدرسة الجزائر التي أسسها أبو الحسن المريني في جزائر بني مزغناي[25].

كذلك انتشرت هذه المدارس في عهد الدولة المرينية بالمغرب الأقصى، ومن أهمها المدرسة المصباحية والمدرسة البو عنانية من تأسيس أبو عنان الحريني وكلتاهما بفاس، والمدرسة العظمى بمراكش، والمدرسة العظمى بسلا، والمدرسة العنانية أيضاً بمكناس[26].

وقد ضمت بعض تلك القصور ـ مثل قصور الخلفاء والحكام المسلمين

---

(21) م.ن.

(22) راجع كتاب: «تاريخ أفريقية في العهد الحفصي 1: 382، 383.

(23) م.ن.: 382، 383.

(24) م.ن.: 382.

(25) موجز التاريخ العام للجزائر: 390 ـ 392.

(26) راجع: محمد المنوني: «ورقات عن حضارة المرينيين، والمغرب عبر التاريخ 2: 134.

في الشرق ـ المكتبات العامرة بالتآليف والتصانيف التي حبَّرها علماءُ الغرب الإسلامي وأدباؤه والكتب المستجلبة من الشرق ومن أوروبا في مختلف العلوم والفنون، ويكفي أن نشير في هذا الصدد إلى مكتبات قصور حكام الدولة الأغلبية الفاطمية والحفصية في تونس[27] والدولة الرسمية والحمادية والزيانية في الجزائر[28]، وقصور الدولة الموحدية والمرابطية والمرينية في المغرب الأقصى وقصور حكام الدولة الأموية وحكام دول الطوائف في الأندلس، ويكفي أن نشير على سبيل التمثيل لا الحصر إلى مكتبة الحكم المستنصر في الأندلس، ومكتبة أحمد المنصور الذهبي في المغرب[29].

وهناك المكتبات العامة التي أسهم الحكام في تأسيسها وتعيين القائمين عليها، وجلب الكتب إليها من مختلف الحواضر مثل مكتبة المدرسة المستنصرية بباب البحر في مدينة طرابلس الغرب[30] ومكتبة بيت الحكمة وخزانة جامع القيروان وخزانة جامع الزيتونة في تونس[31]، وخزانة جامع تلمسان في المغرب الأوسط[32] وخزانة القرويين بمدينة فاس في المغرب الأقصى[33] ومكتبة جامع قرطبة في الأندلس[34].

(27) راجع: حسن حسني عبد الوهاب: «خلاصة تاريخ تونس» و«خلاصة الأدب التونسي»، و«ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية».

(28) راجع: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية، وموجز التاريخ العام للجزائر والمغرب عبر التاريخ، والعلوم والفنون والآداب على عهد الموحدين والحضارة العربية الإسلامية في الأندلس.

(29) راجع: نفح الطيب في تاريخ الأندلس الرطيب، للمقري، و«الحلل السندسية في الآثار والأخبار الأندلسية لشكيب أرسلان، و«المغرب عبر التاريخ»، للدكتور إبراهيم حركات.

(30) راجع: بحثنا عن عبد الحميد بن أبي الدنيا المنشور في أعمال ندوة التواصل، كلية الدعوة الإسلامية طرابلس، ليبيا.

(31) راجع: كتاب ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية، وخلاصة تاريخ تونس.

(32) الموجز العام لتاريخ الجزائر، وخلاصة تاريخ الجزائر.

(33) العلوم والفنون والآداب على عهد الموحدين، ورقات عن حضارة المرينيين، والمغرب عبر التاريخ.

(34) الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس.

2 ـ أما المحور الآخر ضمن ذينك المحورين ـ فإننا نقصد به الحديث عن الحركة الفكرية والمعرفية ودور العلماء أي علماء الغرب الإسلامي وأدبائه ومشاركاتهم بالآثار القلمية في حقولها وبيان إنجازاتهم العلمية والأدبية والفنية التي أبدعوها في مساقات العلوم العربية والإسلامية المختلفة التي أبدع فيها إخوانهم من أعلام الشرق الإسلامي، ونجتزئ منها بالحديث في الحقول المعرفية الآتية:

أ ـ حقل الدراسات الإسلامية.

ب ـ حقل الدراسات اللغوية والأدبية.

ج ـ حقل الدراسات التاريخية.

د ـ حقل الدراسات العلمية والفلسفية.

لقد كان في طليعة ما اهتم به علماء الغرب الإسلامي من العلوم القرآن الكريم وعلومه حفظاً أو قراءة وتفسيراً وبياناً لأحكامه وفضائله وخواصه وأسباب نزول آياته، فالقاسم المشترك بين العلماء والفقهاء وأهل العلم وطلابه منذ أن دخل الإسلام أقاليمه إتقان حفظه وتلاوته وإحسان تجويده وقراءته وتلاوتهم القرآن الكريم على قراءة نافع من رواية ورش، كما اتبعوا في كتابته ورسمه وكتابة سائر ما يدونون من وثائق ومخطوطات الخط المسمى باسم هذه الأقطار «الخط المغربي» بمختلف أشكاله.

نذكر من علماء الأندلس الذين اهتموا بالقراءات أبو عمر (عثمان بن سعيد ابن عثمان) الداني (370 ـ 444) وقد انتهى فيها إلى الغاية المعتبرة، وصار كتابه «التيسير» معتمداً[35].

ومن علماء الأندلس الذين برعوا في القراءات أبو القاسم محمد بن فيُره

(35) تاريخ الفكر الأندلسي: 406.

الرعيني الشاطبي الذي عرف بقصيدته، بل منظومته «حرز الأماني ووجه التهاني» التي نظم فيها كتاب التيسير لأبي عمر الداني[36].

ومن المعروف أن ابن فيُّره معدود من العلماء في القراءة والتفسير. ومن النابغين النابهين بهذه الديار أبو محمد مكي بن أبي طالب القرطبي، قيل إن أصله من القيروان وسكن قرطبة، وعرف بإتقان القراءة والتجويد[37].

والحديث عن علماء القراءات في الغرب الإسلامي متسع وكبير. ومن الذين عنوا بتفسير كتاب الله من أهل هذا الأفق بقي بن مخلد (201 ـ 272) له تفسير يتميز بالعمق والاستقلالية، حلاّه ابن حزم بقوله: «إنه لم يؤلف في الإسلام مثله»[38].

ومن مفسري الأندلس المعروفين ابن محامس عثمان بن محمد المتوفى عام (356/ 966) فقد ألف في التفسير كتاباً، ومثله في ذلك مكي بن أبي طالب[39].

أما عبد الحق المحاربي المعروف بابن عطية فقد اشتهر بتفسيره المتميز «المحرّر الوجيز» الذي اختصر فيه ما سبق من كتب التفاسير، وقد حلاّه الظبي بقوله «ألف في التفسير كتاباً ضخماً أربى فيه على كل متقدم»[40].

ومن التفاسير المغاربية التي شاعت وذاعت غرباً وشرقاً تفسير «الجامع لأحكام القرآن» لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي و«المحرّر الوجيز» لابن عطية بن عبد الحق المحازبي[41] ومن علماء الغرب الإسلامي الذين أسهموا في إثراء هذا العلم محمد بن محمد بن عيسى الزنديوي، فقد كتب تفسيراً

(36) تاريخ الفكر الأندلسي: 406.
(37) م. ن.: 405، 406.
(38) م. ن.: 407.
(39) م. ن.: 409.
(40) الضبّي، بغية رقم 1102.
(41) موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، الدكتور شاكر مصطفى، 1: 638، 639.

للقرآن[42] وهود بن محكم الهواري وهو فقيه إباضي من علماء النصف الثاني من القرن الثاني له تفسير قال عنه الجعبيري «لم يتمه وانتهى في تفسيره إلى الآية: 238 من سورة البقرة»[43].

وبرز من علماء التفسير في المغرب الأوسط عبد الرحمن الثعالبي من أعلام القرن الثامن الهجري، إذ ولد سنة (786/ 1384) وتوفي سنة (875/ 1470) فقد «اشتهر على الخصوص بتفسيره للقرآن، وله عدة تآليف أخرى»[44] ومن علماء المغرب الأقصى أحمد التميمي الفاسي[45] وأبو بكر بن الجوزي السبتي[46] وأبو الحجاج يوسف بن عمران المزدغي الذي وضع كتاباً بلغ به تبارك وأبو العباس أحمد بن فرتوت السلمي[47] وكما اهتم علماء الغرب الإسلامي بالقرآن الكريم وعلومه من حيث الرسم والتلاوة والتفسير اهتموا أيضاً بعلم الحديث الشريف باعتباره الأصل الثاني في التشريع الإسلامي فأبدعوا فيه تأليفاً وشرحاً واستدراكاً، فمن علماء المغرب الأدنى يبرز عبد الجليل بن عظوم مؤلف «الجواهر المفضلات في الأحاديث الأربعينات»[48] ومحمد بن سالم بن فرج الحمامي مؤلف «شرح على صحيح مسلم في عدّة أجزاء»[49] ومحمد بن سحنون «المسند في الحديث»[50] وأبو العرب التميمي الذي وضع كتاباً في «المحدثين وضعافهم»[51] وكتاب «مسند حديث مالك»[52] وكتاب في «الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين» وكتاب «المحن» سجل فيه

(42) كتاب العمر، 1: 797.
(43) م. ن.
(44) موجز التاريخ العام للجزائر: 395.
(45) المغرب عبر التاريخ 1: 227.
(46) م. ن. 1: 227.
(47) م. ن. 1: 354.
(48) كتاب العمر 1: 524.
(49) م. ن. 1: 555.
(50) م. ن. 1: 590.
(51) (52) من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي.

الأحاديث النبوية التي وردت في ذكر المحبّة والبلاء والعذاب والفتن[53].

ومن علماء المغرب الأوسط يبرز أبو عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي صاحب كتاب «شرح الاربعين حديثاً»[54] ومحمد عبد الكريم المغيلي صاحب كتاب «مفتاح النظر في علم الحديث»[55] ولأبي العباس أحمد الخطيب المعروف بابن قنفذ القسنطيني كتاب «شرف الطالب في أحسن المطالب» في أنواع علم الحديث الشريف[56].

ومن العلماء الذين اهتموا بالتصنيف في علم الحديث في المغرب والأندلس ابن حزم فقد ذكر ابن سعيد المغربي بل الأندلسي أن له في تفسير غريب الحديث وفي رجاله مصنفات وإليه كانت النهاية والإشارة في عصره[57] وكان أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المرادي الفاسي أحفظ أهل زمانه للحديث[58] وقد ألف أبو عبد الله محمد المعروف بالمواق المراكشي ثم الفاسي شرح مقدمة صحيح مسلم، وجملة من شرح الموطأ[59]، ولأبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد السبتي (721/ 1321) عناية بعلم الحديث، وبروز فيه، قال عنه لسان الدين بن الخطيب «فريد دهره عدالة وحفظاً وأدباً وهدياً، عالي الإسناد صحيح النقل، تام العناية» ومن مؤلفاته في هذا الشأن «إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح» و«تراجم التراجم على أبواب البخاري» و«مسألة العنعنة» و«الصراط السوي في اتصال جامع الترمذي» و«المحاكمة بين الإمامين البخاري ومسلم»[60].

(53) من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي.
(54) من التراث التاريخي والجغرافي: 90، 91، 92.
(55) أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة 2: 48، وما بعدها.
(56) م. ن.
(57) نفح الطيب 2: 135.
(58) العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين: 48.
(59) م. ن.: 48، 49.
(60) راجع: ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة.

وممن اشتهر في هذا العلم الشريف من علماء الأندلس محدثها محمد بن وضاح بن بزيع القرطبي (200/ 287)[61] قال عنه ابن حجر الهيثمي «وكان من الرواة المكثرين والأئمة المشهورين»[62] وابن الحذاء أبو عمر أحمد بن محمد ابن يحيى القرطبي والحكم بن أبي العاص الجذامي وأبو الوليد محمد بن رشد (جد الفيلسوف) وأبو الحسن شريح بن محمد الرعيني[63].

ولقد اهتم علماء الغرب الإسلامي اهتماماً كبيراً بعلم الفقه الإسلامي على مختلف مذاهبه ومدارسه، فتلقوه من أعلامه ووثقوا سندهم فيه، وعملوا على تأصيل قضاياه ونوازله وأصلوا فتاويه ومسائله في كتب لا تزال إلى يومنا هذا معتمد المذاهب المشهورة.

والحقيقة التي لا معدى عن تقريرها في هذا المقام أن هذا الغرب عرف الكثير من مذاهب الفقه السني والشيعي على حدّ سواء. عرف المذهب الحنفي والشافعي والمالكي والأوزاعي والإباضي والشيعي والظاهري، وإن كانت كتب الظهور والشيوع لبعضها دون بعضها الآخر، قال القاضي عياض السبتي «أُدخل بها (الأندلس ويمكن أن يقاس عليها بلاد الغرب الإسلامي مجتمعة) قوم الرحالين والغرباء شيئاً من مذهب الشافعية وأبي حنيفة وأحمد وداود، فلم يمكنوا من نشره فمات بموتهم على اختلاف أزمانهم، إلا من تدين به نفسه[64] ممن لا يؤبه لقوله، على ذلك مضى أمر الأندلس إلى وقتنا هذا».

ومن أوائل المذاهب الفقهية التي وصلت إلى الغرب الإسلامي، ولم يكتب لها الانتشار، إلا في جزء منه مذهب الإمام الأوزاعي الذي وصل إلى الأندلس في النصف الأول من القرن الثاني الهجري عن طريق عالم دمشقي

(61) ترتيب المدارك 4: 435، الديباج المذهب: 39.
(62) لسان الميزان، 6: 417.
(63) موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، للدكتور شاكر مصطفى، ج3، ص639.
(64) ترتيب المدارك 1: 27.

شامي سمع عن إمامه، ثم انتقل بفقهه إلى مدينة قرطبة يحمل فقهه ومروياته الحديثية، وقد تزامن حلول هذا العالم الفقيه مع عهدي الأميرين عبد الرحمن ابن معاوية (138 ـ 172) وهشام بن عبد الرحمن (172 ـ 180) وقد ولي هذا العالم واسمه أبو عبد الله صعصعة بن سلام بن عبد الله الخطابة بالجامع الكبير بقرطبة حيث أتيح له أن ينشر فيه ما حمل من العلم ومذهب هذا الفقيه الأوزاعي الشامي[65].

أما المذهب الشافعي نسبة إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعي فقد دخل إلى جهات من هذا الغرب، فقد دخل إلى الأندلس في القرن الثالث الهجري على يد محمد بن قاسم بن سيار القرطبي (ـ 276)[66] وشبيه بالمذهب الشافعي في محدودية الانتشار المذهبان الآخران، الحنفي نسبة إلى الإمام أبي حنيفة النعمان، والحنبلي نسبة إلى الإمام أحمد بن حنبل ـ رضي الله عنهم جميعاً.

أما المذهب الفقهي الذي كتب له شيء من الحظوة وبالذات في الأَندلس والمغرب الأقصى، فهو المذهب الظاهري المنسوب في الأصل إلى داود الأصفهاني[67] ومن أبرز أعلامه وأنصاره في الأندلس الفقيه المشهور أبو محمد علي بن حزم ـ صاحب التصانيف البديعة في علوم الثقافة الإسلامية ـ والذي قال في مقارعة خصومه من الفقهاء، والانتصار لمذهبه الظاهري[68]:

فقلت له أسرفت في اللوم فاتئد ... فعندي ردٌّ لو أشاء طويل
ألم تر أني ظاهري وأنني ... على ما أرى حتى يقومَ دليل

ولابن حزم كتاب «الإبطال» الذي نشر جولدتسيهر جزءاً منه، وقد عرض

(65) جذوة المقتبس: 227، البداية والنهاية 10: 209، د. محمد أبو الأجفان: «الفتاوى الأندلسية وتقويم تحقيق فتاوى ابن رشد».

(66) تاريخ الفكر الأندلسي: 431.

(67) م. ن.: 439.

(68) راجع كتاب: «ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس، للدكتور سالم يفوت، وتاريخ الفكر الأندلسي: 213.

فيه ضعف الأصول الخمسة التي سارت عليها بعض المذاهب الإسلامية في استنباط الأحكام الشرعية واستخلاصها وهي: القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل. وله أيضاً كتاب «المحلى» في الخلاف العالي[69].

قال آنخل جنثالت بالنثيا: «ولم تلبث طريقة ابن حزم ـ بعد تطبيقها على علوم الدين والفقه ـ أن أصبحت مذهباً قائماً بذاته حلّ محل المذهب الظاهري، وكوّن أتباعه فرقة عرفت «بالحزمية»»[70] وذكر من هؤلاء الحزميين الظاهريين صاعداً الطليطلي، والفقيه المحدث ابن عبد البر، وأبا النجاة سالم بن أحمد القرطبي، والحميدي المحدث المؤرخ وأبا محمد بن العربي والد الفقيه المعروف أبي بكر بن العربي[71].

وقد أشار أستاذنا العلاّمة محمد المنوني ـ رحمه الله تعالى ـ إلى أنَّ هذا المذهب «كان محبوباً من طرف الخلفاء الموحدين وبصفة أخصّ لدى يعقوب المنصور، فقد بلغ من إعجابه به إلى حد أن كان يقول عن أشياخ الظاهرية الكبار مثل ابن حزم «إن كل العلماء عيال عليه»[72] كما أورد أدلة أخرى على انحياز بعض حكام الموحدين للمذهب الظاهري والعمل على نشره[73].

وما من ريب في أنَّ المذهب المالكي نسبة إلى الإمام مالك بن أَنس (ت179) رضي الله عنه إمام المدينة يعدُّ من أوسع المذاهب الفقهية انتشاراً وشيوعاً في الغرب الإسلامي، وأن أَتباعه من الفقهاء والمتعبدين به كانوا أكثر نفراً في أقطاره وعبر أمصاره وأعصاره، وقد فشا هذا المذهب منذ القرن الثاني[74] وكان منطلقه من الغرب الأدنى على يد الفقيه علي بن زياد المولود في

(69) تاريخ الفكر الأندلسي: 237.

(70) م. ن.: 213 وما بعدها.

(71) م. ن.: 213 وما بعدها.

(72) العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين: 50.

(73) م. ن.: 50، 51، 52، 53، 54.

(74) راجع في ذلك «ندوة الإمام مالك إمام دار الهجرة»، في ثلاثة أجزاء، وشارك فيها لفيف من العلماء والفقهاء في فاس سنة (1400/ 1980) وصدرت عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

مدينة طرابلس الغرب[75]، والفقيه أسد بن الفرات في القيروان بتونس[76]، اللذين عدّهما العلامة محمد الفاضل بن عاشور من أبرز فقهاء الدور الثاني في الفقه المالكي الذي سمّاه «دور التفريع» حيث قال «فإن ناحية الفقه باعتبار التفريع التي يعبر عنها بالمسائل لم تدون من طرف مالك رضي الله عنه في حياته، وإنما ابتدأ بعده أصحابه في تدوينها وكان الأسبق إلى ذلك علي بن زياد فقيه تونس[77]»[78].

وقد تكون بهذا الفقيه الطرابلسي التونسي علي بن زياد الفقيهان المشهوران في المذهب ـ على مستوى الغرب الإسلامي أسد بن الفرات صاحب «الأسدية»[79] وسحنون عبد السلام بن سعيد التنوخي صاحب «المدوّنة»[80].

ومن أعلام الدور الثالث الذي سمّاه العلامة محمد الفاضل ابن عاشور دور «التطبيق» عرف الفقيه المالكي محمد بن سحنون صاحب كتاب «النوازل»[81] وابن أبي زيد الذي اختصر «المدوّنة» ووضع كتاب «النوادر والدّيانات» وعرف الفقيه البرادعي مؤلف كتاب «التهذيب» وابن يونس صاحب كتاب «الجامع» والفقيه أبو الحسن اللخمي القيرواني أصيل صفاقس الذي ألف كتاب «التبصرة» الذي شرح به «المدوّنة»[82] ولا ننسى أن نذكر من فقهاء المغرب الأدنى من أهل طرابلس الغرب (ليبيا) الفقيه أبا محمد عبد الحميد بن أبي الدنيا (684/ 1285)[83] وأبا الحسن عبد الوهاب القيسي وأبا يحيى بن أبي بكر بن برنيق الهواري

(75) أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي: 21.
(76) المحاضرات المغربيات: 77.
(77) باعتبار الوفاة.
(78) المحاضرات المغربيات: 77.
(79) راجع محمد الفاضل ابن عاشور: «أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي».
(80) راجع محمد الفاضل ابن عاشور، «المحاضرات المغربيات» و«أعلام الفكر الإسلامي».
(81) المحاضرات المغربيات: 78.
(82) م. ن.: 79.
(83) راجع بحثنا عنه ومصادره مراجعه.

المجريسي، وكلاهما من أعيان أوائل القرن الثامن الهجري، وأبا عبد الله محمد أحمد الزليتني (808/ 1405) وعلياً بن عبد الحميد العوسجي (920/ 1519) والفقيه عبد الرحمن بن أحمد المغربي التجوري (960/ 1552)[84].

كما نشير من فقهاء تونس المالكيين إلى أبي محمد عبد الحق بن بربطة (661/ 1263) وإلى أبي البركات موسى القمجي (684/ 1285) وأبي العباس أحمد الغماز (693/ 1294) وشمس الدين محمد الربعي (715/ 1315) وأبي علي عمر بن علوان الهذلي (716/ 1316)[85].

وقد ألمحنا إلى أن جزيرة صقلية كانت تتبع البلاد التونسية ويكفي أن نشير إلى أن الفقيه المالكي القيرواني أسد بن الفرات كان الفاتح لهذه الجزيرة، لذلك فلا غرابة في أن ينتشر فيها المذهب المالكي، بل ويظهر فيها من أعلامه شخصيات جديرة بالتنويه، يكفي أن نذكر منهم الإمام أبا عبد الله محمد المازري دفين مدينة المنستير المتوفى عام (536/ 1141) والإمام المشهور محمد ابن عبد الله بن يونس الصقلي صاحب كتاب «الجامع» في الفقه المالكي المتوفى عام (451/ 1059) والفقيه عمر بن خلف الصقلي»[86].

وكما انتشر الفقه المالكي في المغرب الأَدنى، وعظم الاهتمام به والتأليف فيه، انتشر أيضاً وعمَّ في المغربين الأوسط والأقصى وبلاد الأندلس، ومن أعلام الفقهاء المالكيين في المغرب الأوسط الفقيه إبراهيم بن يحيى بن موسى التجيبي (663 ـ 1264) والفقيه محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى (759/ 1358) والفقيه الشريف بن أحمد بن علي التلمساني (771/ 1370) والفقيه أبو عثمان سعيد محمد العقباني (811/ 1408)[87].

---

(84) راجع النشاط الثقافي لليبيا، وتاريخ ليبيا الإسلامي.

(85) راجع «سبك المقال لفك العقال» لعبد الواحد بن الطوّاح و«ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية» و«المحاضرات المغربيات».

(86) ومضات فكر 2: 238، 239.

(87) موجز التاريخ العام للجزائر: 394 وما بعدها.

والفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (909/ 1503) الذي عمل على نشر هذا المذهب في بلاد السودان ـ كما سيأتي ـ والفقيه أبو عبدالله محمد ابن علي أبي الشريف (920/ 1514)[88].

ولا يخفى الدور البارز الذي ساهم به فقهاء المغرب الأَقصى في تأصيل الفقه المالكي والتأليف فيه وتقوية أدلته، ويكفي أن نشير هنا إلى بعض الأعلام من أمثال أحمد بن عبد الرحمن التادلي الفاسي (746/ 1345) والفقيه عبد الحق ابن سعيد بن محمد المكناسي بعد (761/ 1360) والفقيه محمد بن عبد الرحمن المراكشي الضرير (807/ 1405) وأبي حامد محمد الرضي الحسني الفاسي (824/ 1421) بله فقهاءه المشاهير من أمثال الفقيه القاضي عياض السبتي وأبي العباس الونشريسي[89]. كذلك كان لفقهاء الأندلس دور بارز في إثراء المذهب المالكي وفقهه، فقد أبدوا هم أيضاً حرصاً كبيراً على الرحلة إلى أعلامه في الشرق لأخذه عنهم واستجازتهم ثم عملوا على إظهاره في الأندلس وتأييده وبسطه، يقول الدكتور أحمد هيكل «إن أسباب شيوع المذهب المالكي في الأندلس، يرجع إلى طائفة من العلماء الأندلسيين المالكيين الذين درسوا المذهب في المشرق، ثم عادوا إلى بلادهم، وتمتعوا بنفوذ كبير، مكن لهم من نشر المذهب وإعطائه الطابع الرسمي[90].

وقد عدَّ الإمام محمد الفاضل ابن عاشور من أعلام دور التطبيق من فقهاء الأندلس «العتبي بمستخرجته «العتبية»، وابن عبد البرّ بكتاب الكافي، وابن زمنين في شرحه على «المدوّنة» وبمختصره في فقه القضاء المنتخب، والباجي بشرحه على المدوّنة أيضاً»[91].

---

(88) أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، موجز التاريخ العام للجزائر.

(89) راجع: العلوم والآداب الفنون على عهد الموحدين، ورقات عن حضارة المرنيين، «المغرب عبر التاريخ، والحضارة الإسلامية في المغرب».

(90) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة: 80.

(91) المحاضرات المغربيات: 80.

ومن فقهاء هذا المذهب في الأندلس نذكر الفقيه أبا العباس القرطبي (656/ 1258) وابن سيّد الناس أبا بكر محمد اليعمري الإشبيلي (659/ 1261) والفقيه عبد الله بن سعد بن أبي جمرة (675/ 1276)، وأبا عمر يوسف بن عبد البر، وأبا الوليد الباجي، وأبا بكر بن العربي، وأبا إسحاق الشاطبي[92].

ومن المذاهب الفقهية ذات الانتشار الواسع في ديار الغرب الإسلامي المذهب الإباضي نسبة إلى الإمام عبد الله بن إباض، ويرجع في الأصل إلى التابعي أبي الشعثاء جابر بن زيد الأزدي الذي يصدر أهل هذا المذهب عن رأيه، لأنه تابعي ومن الأئمة العلماء الأتقياء الورعين الذين أخذوا علمهم عن عبد الله بن عباس وعائشة أم المؤمنين وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر، وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً. وزمن دخول هذا المذهب الفقهي إلى هذه الديار مبكر، في أوائل القرن الثاني الهجري، قال أحد العلماء مشيراً إلى هذا الدخول وتاريخه وانتشاره في الغرب الإسلامي وغيره من ديار الإسلام: «ولم تمض عشرون سنة من القرن الثاني الهجري حتى كان المذهب الإباضي منتشراً في ليبيا وتونس والجزائر، كما انتشر في العراق والجزيرة العربية وعمان»[93].

ومن أوائل من أشاعوه سلمة بن سعد ومحمد بن عبد الحميد بن معطير الخباوني، ثم الطلبة الذين رحلوا من شمال أفريقيا إلى البصرة لأخذ الفقه الإباضي عن علمائها المشاهير[94] «وجرى اختيارهم من مناطق مختلفة بحيث إن أكثر المراكز أهمية في شمالي أفريقيا الأوسط كانت ممثلة لكي يكون بالتالي لكل منطقة زعيمها الديني من السكان الأصليين وهؤلاء الطلبة هم: أبو درار إسماعيل بن درار الغدامسي من غدامس، وعبد الرحمن بن رستم وهو فارسي

(92) راجع: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، تاريخ قضاة الأندلس، نيل الابتهاج.

(93) الإباضية في موكب التاريخ (الحلقة الثانية) القسم الأول: 23.

(94) دراسات عن الإباضية: 111.

الأصل من القيروان، وعاصم السدراتي من سدراتة، وأبو داود القبلي النفزاوي من نفزاوة (جنوبي تونس)»[95].

ومن الحقائق المهمّة التي ينبغي أن تؤكد أَنَّ هذا المذهب الفقهي الإسلامي ترسّخت مسائله وأبوابه ومؤلفاته في الشرق وعلى وجه التحديد في البصرة بالعراق، ثم انتقل إلى الغرب الإسلامي الأدنى طرابلس في جبل نفوسة وغدامس وفزان، وفي جربة والجنوب في تونس وكذلك في جنوب المغرب الأوسط، الجزائر. وقد كان إباضيو الغرب الإسلامي يعتمدون اعتماداً كلياً على تأليف علماء البصرة وتصانيفهم، يستجلبونها ويقرؤونها وينتفعون بعلمها إلى أن ترسخت أقدامهم في النظر والتأليف فأضافوا إلى كتب أهل البصرة رصيداً ضخماً من أعمالهم التي لا تزال غميسة ومجهولة[96] يكفي أن نذكر منها في هذا المقام تنويهاً بها وبمؤلفيها: شرح الجهالات، وكتاب الموجز، وكتاب الاستطاعة لأبي عمار عبد الكافي بن يعقوب التناوتي «مقدمة في أصول الفقه وشرحها لأبي العباس الشماخي»[97].

وللمغاربة بالإضافة إلى تآليفهم الكثيرة في الفقه على مختلف مذاهبه، تآليف لا تقل عنها في أصول الفقه وعلم الكلام الذي يراد به التعريف بطرق استخراج الأحكام الفقهية من أدلتها وهي القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة والإجماع والقياس. ومن أهم هذه التآليف ما وضعه ابن البنا المراكشي تحت عنوان «منتهى السول في علم الأصول»[98] ومن الذين عرفوا بإتقانه وتدريسه في العهد الموحدي أبو الحسن علي بن محمد بن خليل الأندلسي المعروف بابن الإشبيلي المتوفى عام (567هـ)[99]، وأبو عبد الله محمد بن عبد

(95) دراسات عن الإباضية: 113، 114.
(96) دراسات عن الإباضية: 117، الإباضية في موكب التاريخ 2 من 3: 125.
(97) دراسات عن الإباضية: 224.
الإباضية في موكب التاريخ 2 من 3: 125.
(98) (99) راجع: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين.

الكريم الفندلاوي الفاسي الذي عرف بإمامته في علم الكلام والأصول الذي نظم فيه رجزاً[100].

ولابن الخطيب محمد لسان الدين السلماني في أصول الفقه «الحلل المرقوصة في اللمع المنظومة» في ألف بيت لخَّص فيه كتاب أبي إسحاق الشيرازي (ت 476هـ)[101].

وكما عرف الغرب الإسلامي علم الظاهر فيما ذكرناه وفيما سنذكره فيما بعد، عرف أيضاً علم الباطن، أو علم المواجد والأذواق على النحو الذي عرف به علماء المشرق ذلك وعالجوه به، وهذا العلم الوجداني التذوقي هو المعروف بعلم التصوف، والذي يراد به الطريق الروحي الذي تتحقق به الصلة مع واجب الوجود، والتأدب مع ذاته، وإبداء الهيبة والخضوع لجماله وجلاله، والاهتداء بسنن رسوله وكماله.

ومن المعروف أن التصوف الإسلامي بعامة، والتصوف في الغرب الإسلامي بخاصة علم واسع له على مدى العصور أتباعه الكثر، وأعلامه الذين شاركوا في معارفه بتآليف وتصانيف كثيرة، وينقسم هذا العلم عندهم وعند المشارقة إلى قسمين متميزين هما: التصوف السني الشرعي العملي السهل القريب، وهو ما يُسمَّى تصوف الرقائق أو التصوف السنّي، ويراد به تخلية الباطن من المقابح والمفاسد التي نهى عنها الشرع، وتحليته بالمحاسن والمحامد التي أمر بها الشرع الشريف، وأعلام هذا اللون كثر لا يمكن حصرهم، ولكن يمكن التمثيل لهم من المغرب الأدنى في ليبيا بالشيخ الإمام سالم المشاط الزاهد (899/ 1492) وأبي مرزوق عبد السلام الأسمر المخزومي (981/ 1573) وأبي القاسم الرماح الطرابلسي (887/ 1480)[102] ومن تونس

(100) راجع: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين.
(101) راجع: كتاب «لسان الدين بن الخطيب وتراثه الفكري»، للدكتور محمد عبد الله.
(102) تاريخ ليبيا الإسلامي: 506، 507، 508.

بـ«ربيع بن سليمان القطان (ت 333/ 944) وأبي علي النفطي (610/ 1213) و«عبد العزيز المهدوي في أواسط القرن السابع الهجري وأبي الحسن علي بن عبد الله الشاذلي (656/ 1208) وعبد الجليل محمد بن عظوم المرادي القيرواني (960/ 1553)[103] ومن المغرب الأوسط نذكر محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد العجيسي (842/ 1439) ومحمد بن عبد الرحمن الحوضي التلمساني (910/ 1504) ومن المغرب الأقصى يحيى بن محمد المغربي (685/ 1286) وأحمد بن عبد الله بن محمد الأزدي المراكشي (730/ 1330) وابن أبي بكر الجزولي السملالي (870/ 1466)[104].

وأما التصوف الفلسفي والذي يجمع فيه أتباعه بين الأذواق والتحلية والتخلية وبين المعارف الأجنبية ومصطلحات القوم الدقيقة، فقد تميّز فيه أعلام تصوف الغرب الإسلامي، ولم يكتفوا بنشره في أفقهم بل نقلوه إلى ديار الشرق، وهذا التصوف يطلق عليه أيضاً تصوف الحقائق؛ ومن أبرز رجاله والمتحلّين به محمد بن مسرَّة (269/ 319) وعبد الحق بن سبعين (614/ 668) وابن عباد النفزي (733/ 792) ومحي الدين بن عربي (560/ 1164) وابن العريف أحمد بن محمد بن موسى الصنهاجي (481/ 535)[105].

وكما ازدهرت علوم الشريعة والدين والمقاصد في الغرب الإسلامي ازدهرت أيضاً علوم العربية أو علوم الآلة واللسان العربي، مثل علم اللغة والنحو والمعجم والبلاغة والأدب العربي بمنظومه ومنثوره بما يشتمل عليهما هذان الشكلان من أنواع.

فإذا بدأنا بعلم النحو والصرف لنتبين دور علماء الغرب الإسلامي فيه، فلا بد من الإشارة إلى أن هذا العلم قد مرَّ في المشرق ـ حسب تقسيم الباحث

---

(103) راجع: ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية، للأستاذ حسن حسني عبد الوهاب وسبك المقال لفك العقال لعبد الواحد بن الطوّاح.

(104) راجع: كتاب «المدارس الصوفية المغربية والأندلسية» للدكتور غرميني.

(105) راجع كتاب التصوف الأندلسي أسسه النظرية وأهم مدارسه للدكتور محمد العدلوني الأندلسي.

الموريتاني المغربي الدكتور محمد المختار ولد أباه ـ بعدة عصور، حصرها في النشأة والتأسيس، وعصر التدوين والتصنيف وكلاهما ـ حسب رؤيته في القرن الثاني الهجري، ثم عصر البيان والتعقيب في القرن الثالث الهجري، وعصر الحصر والتنظير في القرن الرابع الهجري، ثم عصر التأصيل والتقويم في القرن الخامس والسادس الهجريين.

وهنا ـ حسب هذه الرؤية ـ سيظهر دور الغرب الإسلامي وبخاصة الأندلس والمغرب الأقصى في إثراء علم النحو وتفكيره، قال الدكتور محمد المختار ولد أباه «وحين نصل إلى القرن الخامس يتحول مركز ثقل الدراسات النحوية من المشرق إلى المغرب، فتزدهر علوم اللغة بين ربوع الأندلس، ثم تمتد إلى الحواضر المغربية لتستمر وضاءة أكثر من قرنين، ولقد أثبتنا أنّ هذا العصر كان عهد المراجعة والتأصيل»[106].

وقد تلا هذا العصر ما سماه عصر التصحيح والتثبت في القرن السابع الهجري وما بعده، وقد شارك فيه علم أندلسي مشهور ظل المشرق والمغرب مدينين له، وقد «تمت هذه المرحلة على يد ابن مالك الجياني الذي استطاع أن يفرض بحسن اختياره الصورة الحالية للنحو العربي التقليدي»[107].

وظاهر أَنَّ ابن أباه أشار بذلك إلى ما وضعه ابن مالك الجيّاني نسبة إلى جيان بالأندلس من نظم الألفية النحوية المشهورة التي تولاّها المشارقة والمغاربة على حد سواء ـ بالحفظ والشرح والتعليق، بفضل حسن اختيار هذا الناظم وعمقه وإلمامه[108].

وقد أشار الباحث المذكور، وعدد غير قليل من الباحثين الذين سبقوه والباحثين الذين لحقوه إلى الدور المميز لعلماء الغرب الإسلامي في بناء علم

(106) تاريخ: النحو العربي في المشرق والمغرب: 223.
(107)م. ن.
(108) تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب: 313.

النحو وإقامته، ومشاركتهم المشارقة في صناعته، وإلى صور المناقدة والمناظرة والإضافة والإثراء في هذا التفكير النحوي واللغوي[109].

ومن أشهر أعلام الغرب الإسلامي الذين أسهموا في إثراء الدراسات اللغوية والنحوية والصرفية ابن الأفليلي (352/ 441) والأعلم الشنتمري (410/ 476) وابن مضاء القرطبي (ت 592) والإمام السهيلي (ت 583) وأبو موسى الجزولي (ت 607) وابن عصفور الإشبيلي (597/ 669) وابن معطي الزواوي (ت 628) وأبو علي الشلوبين (ت 645)[110]، الذي تخرج به ـ كما هو معروف ـ عدد من الأعلام من أمثال ابن أبي الربيع (ت 688) ومالك بن المرحَّل (604/ 699)[111]، ونذكر من أعلام هذا الأفق محمد بن جعفر القزاز المتوفى عام (412هـ/ 1021) شيخ اللغة بالمغرب، ومصنف كتاب «الجامع في اللغة» وهو ـ كما قيل ـ «يقارب تهذيب الأزهري، لأنه كتاب كبير يقال إنه لم يصنف مثله، كما صنف أيضاً كتاب «العشرات» في اللغة ذكر فيه اللفظة ومعانيها المترادفة ويزيد بعضها على العشرة[112].

ومن أعلام النحو واللغة الذين كتبت لهم الشهرة الواسعة في الغرب الإسلامي، وفي بعض أقطار المشرق جمال الدين محمد بن مالك الطائي صاحب الألفية (ت 672) وأثير الدين أبو حيان الغرناطي (ت 745)[113].

وقد كانت العناية بعلم اللغة والنحو موزعة على أقطار هذا الأفق[114] الواسع. فمن علماء ليبيا أو طرابلس الغرب أبو إسحاق إبراهيم بن الأجدابي

(109) م. ن.
(110) راجع تراجمهم وأعمالهم في «تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب».
(111) راجع كتابنا مالك بن المرحل أديب العروتين ومصادره.
(112) مقال: «اللغويون أو علماء العربية في المغرب» للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله.
(113) راجع كتاب: «تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب».
(114) م. ن.

(470/ 1077)[115] ويوسف بن علي الجعراني المسلاتي اللغوي النحوي من أعلام أواسط القرن التاسع الهجري[116] ومن علماء تونس محمد بن عبد السلام ابن إسحاق التونسي (797/ 1395)[117] وعمر بن عبد الرحمن الوشتاتي التونسي الحارثي (877/ 1472) ومن هؤلاء العلماء في المغرب الأوسَط يحيى بن محمد ابن يوسف التجيبي (652/ 1254) وأبو إسحاق إبراهيم التلمساني المالكي (690/ 1291) وأبو زكريا يحيى بن علي بن أبي بكر الوراقلي (711/ 1311) وأحمد بن يحيى بن أبي بكر التلمساني المعروف بابن أبي حجلة (776/ 1375)[118].

ومن أعلام اللغة والنحو في المغرب الأقصى برز قاسم بن علي الصفار النحوي (630/ 1233) وابن غازي المكناسي ومحمد المرابط الدلائي ومحمد بن جابر المكناسي (827/ 1424) وعبد العزيز بن عبد الواحد بن موسى المكناسي (964/ 1557)[119]، كما ظهر قبلهم علمان مشهوران برزا في التأليف في هذا العلم هما: أبو جمعة سعيد المغوسي (؟/ 1016)[120] وابن الطيب الشرقي (1170/ 1756)[121] وابن الوزان، وهو أبو القاسم إبراهيم بن عثمان شيخ المغرب في النحو واللغة، ومما قيل فيه إنه حفظ كتاب سيبويه والمصنف الغريب، وكتاب العين، وإصلاح المنطق[122] وهذا لعمري من الغريب.

وقد اشتهر من أعلام اللغة في الأَندلس طائفة من العلماء الكبار من أمثال ابن سيدة الأندلسي (ت458) صاحب معجم «المخصص» ومعجم المحكم

(115) علي الفقيه حسين «أبو إسحاق إبراهيم الأجدابي، الدكتور السائح علي حسين، تحقيق كفاية المتحفظ.

(116) موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها.

(117) راجع: ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية.

(118) راجع: الموجز العام لتاريخ الجزائر.

(119) راجع: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب.

(120) راجع بحثنا عنه في هذا الكتاب، وفي مجلة جذور السعودية ع 15.

(121) راجع ما كتبه عنه د. عبد العلي الودغيري في كتابه: «التعريف بابن الطيب الشرقي».

(122) راجع النحو العربي في المشرق والمغرب.

والمحيط الأعظم»[123] وابن السيد البطليوسي (521) صاحب الاقتضاب في شرح أدب الكتاب[124].

ثم إنَّ المتأَملَ في حالة الأدب العربي شعره ونثره في ديار الغرب الإسلامي عبر العصور الإسلامية، يجد تراثاً زاخراً ومتنوعاً وخصيباً أبدعته قرائح المبدعين من الكتاب والشعراء من ذوي الأصول العربية والبربرية والأفريقية والأعجمية، ومن ذوي الأديان واللغات المختلفة الذين آثروا في إبداعهم التفكير والتعبير باللسان العربي الفصيح.

والمجال يضيق هنا عن التعريف بهذا الأدب المغازلي وأطواره، وذكر أعلامه الكثر، لذا نكتفي هنا بالإشارة إلى ذكر الطورين الأساسين اللذين مرَّ بهما وهما.

1 ـ الطور الأول طور التقليد والاتباع.

2 ـ الطور الآخر طور التجديد والابتداع.

ثم نعرج بعد بيان ذلك إلى الحديث الموجز عن أشكاله، بل شكليه المحافظ والمستحدث وأعلامهما والنثر وأشكاله وذكر أَشهر أعلامه ومبدعيه.

ونحن نعني بالطور الأول ـ طور التقليد والاتباع ـ الطور البدئي الذي لم تتوطد فيه دعائم اللغة العربية وأدبها توطداً كاملاً، أو بعبارة أخرى الطور الذي اكتفى فيه مبدعو هذا الأفق من الأدباء بالمحاولات الأدبية المقتصرة في الغالب على مجرد المحاكاة والمجاراة في صياغة النتف والمقطعات والقصائد القصار، أو الرسائل والخطب المحدودة، والأخذ في ذلك كله باتباع طرائق الأدباء من الفاتحين ومن جاء بعدهم، واقتفاء ما وصلهم من أدب المشرق ـ على محدوديته ـ والنسج على منواله، وقد اتسم هذا الطور ـ على الرغم من امتداده

(123) الذهبي، 2: 271.

(124) تاريخ الفكر الأندلسي: 90.

أكثر من ثلاثة قرون بندرة آثار أدباء العرب الإسلامي، وضآلة إبداعاتهم الأدبية المنظومة والمنثورة في الشكل والمضمون، وبسيرها في الغالب ـ مسير التبعية والتقليد، ومحاولة الاهتداء والاقتداء بنماذجها المختلفة.

ومن المؤسف أننا لم نقف على شيء من نتاج أدباء طرابلس الغرب في هذه المرحلة[125] ولا على أعلامها في الأدب، ومن المؤسف أيضاً أنَّ المصادر لم تحدثنا إلا بالقليل عن أدباء تونس مثل الأديب البليغ أبي اليسر إبراهيم الشيباني، وقد وصفه الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب بقوله «حامل لواء الرواية للأدب والترسل العربي»[126]، ومثل محمد بن جعفر القزاز التميمي[127] ولكنه لم يأت بنماذج مما حرّروه في الشعر والنثر، ويبدو أن الأستاذ عبد الله كنون تعذر عليه الحصول على أسماء الأدباء وأدبهم في هذه المرحلة بالمغرب الأقصى[128]، أما أدباء الأندلس فقد أشارت المصادر والمراجع إلى بعضهم من أمثال الحكم بن هشام وعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط وعباس بن فرناس وعبد الرحمن بن الشمر وأحمد بن عبد ربه الأندلسي[129] والحاجب المصحفي في عهد خلافة قرطبة[130].

أما الطور الآخر، طور التجديد والابتداع فهو الطور الذي اتسم بالاستقلالية، ومحاولة التجديد وكثرة العطاء، والحرص على الابتداع من حيث التعبير عن الهوية المغربية، وربما ظهور ظاهرة محاولة التميز والتحدي، وفي تقديري أن هذا الطور بدأ منذ أواخر القرن الرابع الهجري وامتد إلى القرن الثامن الهجري.

---

(125) تاريخ ليبيا الإسلامي: 490، النشاط الثقافي في ليبيا.
(126) ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية 1: 26.
(127) م. ن. 1: 102.
(128) راجع الجزء الأول من كتابه النبوغ المغربي في الأدب العربي.
(129) الأدب العربي في الأندلس لعبد العزيز عتيق: 63 ـ 74.
(130) م. ن.: 75 ـ 92.

ومن أشهر الشعراء في هذا الطور محمد بن هاني الأَزدي المهدوي ويطلق عليه ابن هاني الأندلسي (ت362) وعلي الإيادي (ت 365) وتميم بن المعز (ت 374) وابن حمديس الصقلي (ت527) وابن حيّوس المغربي (ت570) وأبو العباس الجراوي المغربي (609هـ) وأحمد بن زيدون (ت463) وابن عمار (ت 477) ومالك بن المرحّل (ت699) وعلي بن يخلفتن الفازازي (ت 1224م) وابن دراج القسطلي (421) والأعمى التطيلي (ت 1131م) ومحمد بن يوسف بن زمرك (796).

ومن أبرز الكتاب في هذا الطور ابن شرف القيرواني (460) وعلي الحصري القيرواني) (ت488) وأبو محمد عبد الله التجاني (718) وأبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت413هـ) ومحمد بن علي بن الشباط التوزي الذي أَلف ثلاثة شروح ومعارضة لقصيدة الشقراطيسية وعبد الواحد بن الطواح التونسي، صاحب كتاب «سبك المقال لفك العقال»[131] كان حياً سنة(714).

واشتهر في الأندلس الفتح بن خاقان (ت 535) وابن بسام الشفتريني (ت 542) وابن زيدون (463) ومحمد بن مسعود بن أبي الخصال (540) وأبو المطرف بن عميرة (658) ولسان الدين بن الخطيب (776).

وعلى الرغم مما ذكرناه من تميز أدباء الغرب الإسلامي في هذا الطور بالاستقلالية والابتداع والصبغة المحدّدة الدالة على تفكيرهم الذي صار ينحو نحو الذاتية والتجديد فقد أخذ ابن بسام الشنتريني في خريدته عليهم ظاهر التقليد والاتباع مع أنهم حسب تصوره مبدعون قادرون ومتميزون، قال في وصف ذلك «إلا أن أهل هذا الأفق أبوا إلا متابعة المشارقة، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى قتادة، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب،

(131) راجع كتابنا عنه: «عبد الواحد بن الطواح من أعلام الغرب الإسلامي المغمورين» في القرن الثامن الهجري.

أو طنَّ بأقصى الشام أو العراق ذباب؛ لجثوا على هذا صنماً، وتلوا ذلك كتاباً محكماً»[132].

وقد أبدع الشعراء المغاربة في الشعر العربي المحافظ الموروث والمصوغ على عمود الشعر العربي أو الأبحر الخليلية المعروفة نتاجاً شعرياً كثيراً كانت المجلية فيه البلاد الأندلسية ثم المغربية والبلاد التونسية، وأبدعوا في ذلك دواوين شملت القصائد الطوال والمقطعات والنتف، ويكفي أن نشير في هذا المقام إلى هؤلاء الشعراء الذين يمثلون هذا التيار، مثل أبي يعقوب يوسف الطرابلسي وعلي الحصري[133] وأبي حمود موسى الثاني[134] والأمير أبو الربيع سليمان الموحد والقاضي أبي الحسن بن زنباع والعلامة المكودي[135] وابن خفاجة وابن الزقاق البلنسي وابن صاره وابن الجنان[136]، كما أسهموا في صناعة الشعر المستحدث الذي ابتدعوا بعضه مثل الموشح»[137] و«المعشرات» والعشرينيات[138] و«الزجل» والذي قلدوا المشاركة في بعضه الآخر مثل فن الدوبيت[139].

وقد أَلَّف لسان الدين بن الخطيب كتابه «جيش التوشيح» أثبت فيه أكثر من ستة عشر وشاحاً، كما اثبت عدداً من موشحاتهم، وفيها ـ حسب اصطلاحهم ـ التام والأقرع والفصيح والعامي والمطعَّم.

أما المعشرات والعشرينيات فيراد بها النصوص المكونة من عشرة أبيات أو من عشرين بيتاً بعدد الحروف الألفبائية وبشرط التزامها بالإعنات في أول

(132) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة 1: 3.
(133) راجع «ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية»، والنشاط الثقافي في ليبيا.
(134) موجز التاريخ العام للجزائر: 401.
(135) راجع الجزء الثالث من النبوغ المغربي.
(136) راجع كتب الأدب الأندلسي الكثيرة التي تناولت هذه الشخصيات.
(137) راجع كتاب «ديوان الموشحات الأندلسية» للدكتور سيد غازي.
(138) راجع كتابنا مالك بن المرحّل، أديب العروتين.
(139) الأدب العربي في الأندلس العتيق: 365.

الأبيات وآخر الأبيات[140] ومن أَشهر المبدعين في هذا اللون من الشعراء الأندلسيين علي بن يخلفتن الفازازي (263)[141] ومالك بن المرحَّل (604/ 699)[142].

ومن شعراء المغرب الأدنى الشاعر التونسي علي الحصري (420/ 1029) واشتهر ابن قرْمان أبو بكر محمد بن عيسى (ت 555) بصناعة فن الزجل، وهو على رأس جيش من الزجالين في الغرب الإسلامي الذين أبدعوا فيه وفي فن الملحون[143].

فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى النثر الأدبي وأَشكاله بل أَنواعه المختلفة هالنا النتاج النثري الغزير الذي شارك فيه مترسلو هذا الأُفق وكتابه وناثروه.

فقد كتبوا في فن الرسائل بأنواعها المختلفة؛ الديوانية والإخوانية والمزاوجة[144] آثاراً إبداعية راقية وكثيرة، سارت في قسم منها مسير الاتباع وفي القسم الآخر مسير الابتداع، ومن أبرز كتاب الرسائل الديوانية الذين يطلق عليهم المغاربة كتاب العلامة أبو جعفر بن عطية وعبد العزيز الفشتالي وإدريس العمروي[145] وأبو حفص بن برد والفتح بن خاقان وأبو علي محمد بن حزم وابن زمرك وابن عاصم الذي يسمى ابن الخطيب الثاني[146].

وجاروا كتاب الشرق في فن المقامة التقليدية مقامة الكدية والتكدي والمقامات الزهدية، وأبدعوا مقامات في أغراض جديدة مثل المقامات البلدانية والمقامات الانتقادية ومقامات الرحلة وغيرها، واشتهر من أَعلام الفن من أهل

---

(140) راجع مالك بن المرحل أديب العروتين: 199.

(141) الدكتور عبد الحميد الهرامة: «تحقيق آثار الفازازي».

(142) مالك بن المرحل أديب العروتين: 199.

(143) الأدب الأندلسي للدكتور الشكعة: 447.

(144) راجع كتابنا: «فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب»، إصدار دار المدار الإسلامي، ليبيا، بيروت.

(145) راجع: النبوغ المغربي في الأدب العربي، الجزء الثالث.

(146) راجع: «جنة الرضا فيما قدر الله وقضى»، لابن عاصم، تحقيق د. صلاح جرار.

الغرب الإسلامي في المقامات: علي الحصري وأبو طاهر محمد التميمي السرقسطي ولسان الدين بن الخطيب[147].

كما برز مبدعو الغرب الإسلامي في فن الرحلة بأشكاله التعبدية والعلمية والسفارية فأبدعوا نثراً أدبياً، أضاف لمساقات الأدب العربي لوناً أدبياً متميزاً، نذكر من أعلام فن الرحلة في اللون العلمي ابن رشيد السبتي في «ملء العيبة بما اجتمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة مكة وطيبة» التي ذكر فيها لقاءه بشيوخ الغرب والشرق، وإجازته لهم واستجازته منهم»[148] وفي اللون التعبدي رحلة العبدري البلنسي، وهي رحلة عالم إلى الحرمين الشريفين، وفي اللون السياحي الترويحي الرحلة المشهورة المعروفة برحلة الرحالة المشهور بابن بطوطة الطنجي، والمعنونة بـ«تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»[149].

وهذه الرحلات الثلاث ذكرناها أمثلة لعشرات الآثار الإبداعية لفن الرحلة للرحالات من أهل الغرب الإسلامي.

وننهي القول في حياة الأدب العربي وطبائعه في الغرب الإسلامي، بالحديث عن النثر التأليفي الأدبي، ونجتزئ منه بهذه الإلماعة، فمن آثار أدباء تونس من المغرب الأدنى كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني (ت 456) وكتاب «زهر الآداب» للحصري القيرواني[150]، ومن آثار أدباء صقلية يبرز كتاب «الدرة الخطيرة في شعر شعراء الجزيرة» لابن القطّاع[151].

(147) راجع: الأدب الأندلسي للدكتور مصطفى الشكعة.

(148) راجع هذه الرحلة باسمها المذكور بتحقيق أستاذنا العلامة الدكتور محمد الخبيب بلخوجة.

(149) طبعت هذه الرحلة طبعة قديمة بمصر سنة 1933، وقد اصدرها أخيراً الدكتور عبد الهادي التازي في طبعة علمية محقّقة على أصول كثيرة وافية.

(150) راجع كتاب «مع المكتبة العربية» للدكتور عبد الرحمن عطية و«كتاب المصادر اللغوية والأدبية» لعز الدين موسى.

(151) نشر الكتاب بتحقيق الدكتور بشير البكوش، ضمن إصدارات الغرب الإسلامي.

ومن آثار أدباء الجزائر في المغرب الأوسط «نفح الطيب في تاريخ الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب وكتاب «أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض وكلاهما لأبي العباس أحمد المقري[152] ومن آثار المغرب الأقصى «أحكام التأسيس في أحكام التجنيس» و«إيراد المرتع المريح لرائد التسجيع والترصيع» لابن رشيد السبتي[153]، وكتاب «رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة للشريف السبتي». والذي يوصف أَحياناً خطأ الغرناطي[154].

ومن الأعمال الأدبية الأندلسية «الذخيرة في محاسن أَهل الجزيرة» لابن بسام الشنتريني[155]، وأعقاب الكتاب لابن الأبار البلنسي[156]، وشرح التجنيس لحازم القرطاجني ووصل القوادم بالخوافي في شرح القوافي، ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء للناقد المذكور حازم[157]، وريحانه الكتاب ونجعة المنتاب، والسحر والشعر ورسالة النفاية بعد الكفاية، جعلها على نسق كتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان والكتب الثلاثة المذكورة لخاتمة أدباء الأندلس محمد لسان الدين بن الخطيب[158].

كذلك شارك أهل هذا الأفق في الكتابة في علم التاريخ وهو العلم الذي يؤرخ للأمم والأشخاص والبلدان والأعلام ويدخل فيه التاريخ العام وكتابة التراجم والبرامج والمشيخات والتعريف بالجغرافيا والأَماكن وفن الرحلة على

(152) نشر الكتاب الأول بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد وبتحقيق د. إحسان عباس، ونشرت الثاني لجنة.

(153) راجع دراسة الدكتور محمد الحبيب بلخوجة في منهاج البلغاء وملء العيبة.

(154) راجع الكتاب بتحقيق الصديق الأستاذ الدكتور محمد الحجوي.

(155) نشرت بتحقيق الدكتور إحسان عباس في الدار العربية للكتاب سنة.

(156) نشر الكتاب بتحقيق الدكتور صالح الأشتر.

(157) نشر من هذه الكتب «منهاج البلغاء» بتحقيق أستاذنا الدكتور محمد الحبيب بلخوجة.

(158) نشرت «الريحانة» بتحقيق الأستاذ عبد الله عنان، والسحر والشعر بتحقيق برمبير، وتحقيق آخر للدكتور.

مختلف أنواعها، وقد بلغ فيه التأريخيون المغاربة شأواً بعيداً. فمن أمثلة التاريخ العام لديهم ما كتبه أبو العرب محمد بن تميم القيرواني (ت حوالي 333هـ/ 945) في كتابه في التاريخ الذي ذكر أنّه يقع في سبعة عشر جزءاً[159]، وما أبدعه عبد الرحمن بن خلدون (ت 808/ 1406) في كتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر»[160] ومن أمثلة التأريخ لمدينة من المدن ما كتبه الحسن بن فراج الطرابلسي (521/ 1127) صاحب كتاب (تاريخ طرابلس)[161] ومحمد لسان الدين بن الخطيب في كتابه «الإحاطة في أخبار غرناطة»[162].

أما كتابة التراجم فتتجلى فيما كتبه ابن الصغير التيهرتي (ت بعد عام 300/ 912م) في «تاريخ الأئمة الرستميين»[163] وأبو الحسن علي بن سعيد المغربي الغرناطي (ت حوالي 685هـ/ 1286) في كتابه «الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة»[164] ومن أشكال كتب البرامج والمشيخات ما كتبه أبو عبد الله محمد بن مرزوق العجيسي الخطيب في برنامجه: «عجالة المستوفز المستجاز في ذكر من سمع من المشائخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز» الذي فهرس فيه لشيوخه[165] وبرنامج القاسم بن يوسف التجيبي (ت 730/ 1329) المسمّى باسمه «برنامج النجيبي[166]، وبرنامج الوادي آشي لمحمد بن جابر الوادي آشي (ت 749/ 1338)[167].

---

(159) من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي للدكتور ناصر الدين سيدوني: 19.

(160) م. ن.: 212.

(161) موسوعة العالم الإسلامي ورجالها.

(162) نشر محققه الأستاذ عبد الله عنان أربعة أجزاء منه ونشر الجزء الخامس صديقنا الدكتور عبد السلام شقور.

(163) من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي: 13.

(164) م. ن.: 112.

(165) م. ن.: 190.

(166) نشر بتحقيق الأستاذ عبد الوهاب بن منصور سنة: 1981.

(167) نشر بتحقيق الأستاذ محمد محفوظ سنة 1980.

ومن أمثلة ما كتبوه في الجغرافيا والأماكن ما ألفه أبو عبيد عبد الله البكري (ت حوالي 487هـ/ 1094) في كتابه «معجم ما استعجم من أسماء البلاد» وكتاب «المسالك والممالك» فقد جمع فيهما المعارف التاريخية مع المعارف الجغرافية[168].

وقد برع المغاربة في كتابة فن الرحلة وبرزوا في ذلك، فكتبوا في الرحلة التعبدية وفي الرحلة العلمية وفي الرحلة السياحية كما سبقت الإشارة، من ذلك ما كتبه ابن جبير أبو الحسن محمد (ت 614/ 1217) في رحلته التي اشتهر بها والمسمَّاة «تذكرة بالأخبار عن اتفاقيات الأسفار»[169]. ورحلة فيض العباب لابن الحاج النميري[170].

وهكذا يتبيّن لنا أَنَّ المؤرخين المغاربة شاركوا في الكتابة التاريخية على اختلاف اتجاهاتها وطبائعها، وعالجوها بالطرائق العلمية والموضوعية التي كتبت لتآليفهم الإفادة والتأثير والذيوع والانتشار ليس في الغرب الإسلامي فحسب بل في المشرق أيضاً، أما أَشهر مؤرخيهم فنذكر من أعلام طرابلس الغرب أبا الحسن بن علي بن عبد الله بن مخلوف الطرابلسي (533/ 1138) له تاريخ طرابلس الغرب[171] وأحمد بن سعيد الدرجيني من مؤرخي القرن السابع له كتاب «طبقات مشائخ الجبل[172]»، وأبا العباس أحمد بن عبد السلام الأموي التاجوري الموصوف بالحافظ للأدب والتاريخ والمتوفى عام (708/ 1308)[173] وأبا العباس بدر الدين بن أحمد بن أبي عثمان الشماخي (928/ 1521) صاحب كتاب «السير»[174].

(168) راجع: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس.
(169) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس: 429، من التراث التاريخي والجغرافي: 82.
(170) نشرها الدكتور محمد بن شقرون، محققه في دار الغرب الإسلامي سنة 1990.
(171) راجع تاريخ ليبيا الإسلامي للبرغوثي، والنشاط الثقافي في ليبيا لأحمد مختار عمر.
(172) من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي: 104.
(173) موسوعة العالم الإسلامي ورجالها: ومؤرخون من ليبيا للأستاذ المصراتي.
(174) من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي: 78، مؤرخون من ليبيا.

ويبرز من مؤرخي تونس أبو الربيع سليمان الوسياني (619هـ/ 1223م) له كتاب «سير تاريخ المغرب» وقد ضمنه تراجم الإباضية وأخبارهم[175]، وأبو محمد التجاني صاحب الرحلة المسماة باسمه، والأخوان عبد الرحمن بن خلدون[176] وأبو زكريا يحيى بن خلدون (ت786/ 1385) صاحب «بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد».

وعبد الواحد بن الطوّاح بعد (710/ 1310)[177] مؤلف كتاب «سبك المقال لفك العقال الذي قمنا بتحقيقه[178]. كما يبرز من أعلام صقلية من المؤرخين ابن القطاع صاحب الذخيرة[179] ومن مؤرخي الجزائر في المغرب الأوسط نذكر أبا زكريا يحيى بن أبي بكر الورجلاني (ت حوالي 471/ 1078) له «سير الأئمة وأخبارهم»[180] وأبا عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي (ت حوالي 628هـ/ 1230) اشتهر بكتابه «أخبار بني عبيد من الفاطميين»[181] وأبا العباس أحمد بن أحمد الغبريني مؤلف كتاب «عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء بالمائة السابعة ببجاية»[182] وأبا عبد الله محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني (781/ 1379) مؤلف «المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا الحسن»[183].

ونجتزيء من أعلام مؤرخي المغرب الأقصى والأندلس بذكر المؤرخ أبي البقاء البلوي (740/ 1339) صاحب الرحلة المسماة «تاج المفرق في تحلية علماء المشرق»[184] وعبد الواحد المراكشي (ت حوالي 647/ 1229) مؤلف «المعجب

(175) م. ن. : 76.

(176) ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية : 162، (299)، من التراث التاريخي والجغرافي.

(177) راجع الكتاب بتحقيقنا الصادر عن دار الغرب الإسلامي سنة 1996.

(178) راجع كتابنا عبد الواحد بن الطوّاح من الأعلام المغمورين في القرن الثامن.

(179) صدر عن دار الغرب الإسلامي بيروت، سنة 1996.

(180) من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، معجم العلماء والشعراء الصقليين.

(181) م. ن. : 42.

(182) (183) راجع من التراث التاريخي والجغرافي.

(184) نشرت في المغرب، بتحقيق الأستاذ الحسن بن محمد السائح.

في تلخيص أخبار المغرب»[185] وأحمد بن عذاري المراكشي (706/ 1307) مؤلف «البيان المشرق في أخبار المشرق»[186] وأبي الحسن علي بن أبي زرع الفاسي (حوالي 726/ 1324) صاحب كتاب الأنيس المطرب بروضة القرطاس»[187] والحسن بن محمد الوزان (ت 944/ 1537) مؤلف كتاب «وصف أفريقيا»[188].

وقد عرفت الأندلس أيضاً بكثرة مؤرخيها المبرزين من أمثال أبي محرر علي بن حزم الظاهري (ت456/ 1063) وله كتاب «جوامع السيرة وأسماء الصحابة والرواة» وكتاب «نقط العروس» عن الخلفاء في الأندلس والمشرق[189]، ومحمد لسان الدين بن الخطيب (ت 776/ 1374) مؤلف «اللمحة البدرية في الدولة النصرية» و«الإحاطة في أخبار غرناطة» و«الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة»[190].

كذلك كانت لعلماء الغرب الإسلامي مشاركات في علم الفلسفة وقد دلّت آثار مصنفيها ـ من الفلاسفة المغاربيين على تعدّد انتماءاتهم العرقية والعقدية ـ على عمقها واتساعها[191] وقد برز من علماء المغرب الأدنى في هذا المجال أبو بكر القمودي التونسي المشهور بالفيلسوف[192] أصيل قمودة والمتربي في القيروان التي درس فيها علوم الأوائل، وقد حلاّ الخشني بأنّه «كان حادَّ القنا، بصيراً بوجوه الكلام، عارفاً بأبواب المناقضة، متدرباً في صناعة المعارضة»[193].

(185) من التراث التاريخي والجغرافي: 97.
(186) م. ن.: 135.
(187) م. ن.: 158.
(188) راجع كتاب «تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس: 290.
(189) م. ن. راجع كتاب: «تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس: 290.
(190) م. ن.: فنون التراث التاريخي والجغرافي: 290.
(191) فنون النثر في آثار لسان الدين بن الخطيب.
(192) راجع موسوعة العالم الإسلامي ورجالها للدكتور شاكر مصطفى.
(193) ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية 1: 251.

ومن المغرب الأوسط أبو عبد الله بن مرزوق والشيخ محمد القرشي التلمساني[194] ومن المغرب الأقصى يشار إلى الفيلسوف أبي الحسن علي بن خليل المسفر السبتي[195] والمهدي بن تومرت، وابن زغبوش المكناسي[196] والحقُّ أن العناية بالفلسفة وعلومها ومباحثها ظهرت ظهوراً بيناً في المغرب الأَقصى[197] وفي الأندلس[198]، وبخاصة في عهد الموحدين وعلى عهد الأمير يوسف الموحدي، قال الأستاذ المنوني «ومن شواهد هذا أنَّ فردريك الثاني ملك إيطالية وجه مسائل فلسفية إلى علماء سبتة ليجيبوا عنها، حيث ندبوا للجواب عنها الفيلسوف المسلم الكبير ابن سبعين (614 ـ 669)[199]» فأجاب عنها في كتابه «المسائل الصقلية»[200].

وممن حظي برعاية هذا الأمير الموحدي من الفلاسفة الفيلسوف أبو بكر ابن طفيل صاحب «حي بن يقظان» و«رسالة في النفس» والفيلسوف أبو الوليد محمد بن رشد الذي ترجم في ظل تلك الرعاية كتب أرسطو التي اعتمدها أهل أوروبا، ولولاه لما فهمت فلسفة أرسطو كما قال رينان[201].

ومن أَشهر فلاسفة الأندلس محمد بن مسرّة صاحب المذهب المسرّي (ت 319) ومؤلف كتاب «التبصرة» وكتاب «الحروف»[202] وله تلاميذ كثر حملوا مذهبه[203]، وابن حزم القرطبي (ت 455/ 1063) صاحب كتاب الفصل في

(194) طبقات الخشبي: 214، 222، ورقات 1: 251.
(195) موجز التاريخ العام للجزائر: 394.
(196) راجع: عبد الله كنون: «النبوغ المغربي في الأدب العربي».
(197) المغرب عبر التاريخ، 1: 303 ـ 365.
(198) راجع: العلوم والآداب والفنون: 97.
(199) راجع بحث ميغيل كروز هيرناندس في الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس 2: 1089.
(200) راجع كتاب: «رسائل ابن سبعين»: 2 ـ 3.
(201) العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين: 97 ـ 102.
(202) م. ن.: 100.
(203) التصوف الأندلسي أسسه النظرية وأهم مدارسه: 62.

الأهواء والنحل وكتاب الأخلاق والسير، وصاعد الطليطلي (من أعلام القرن الخامس الهجري) وهو مؤلف «طبقات الأمم» وابن السيد البطليوسي (ت 521/ 1127 وله كتاب «الاستنباط» وكتاب «المسائل» وأبو بكر بن باجه (ت 523/ 1138) صاحب رسالة «الوداع» ورسالة في اتصال العقل بالإنسان»[204].

ومن فلاسفة الأندلس ابن سبعين المرسي (ت 668/ 1270) ويحيى بن هذيل (753/ 1352)[205] ولسان الدين بن الخطيب (713/ 776) وله في هذا العلم كتاب «روضة التعريف بالحب الشريف»[206].

ولم تقتصر جهود علماء الغرب الإسلامي على ما قدموه من آثار علمية بارعة في العلوم الإنسانية، وما كتبوه من تآليف وأعمال مفيدة في علوم المقاصد والشريعة بمختلف فروعها وعلوم الآلة واللسان بمختلف مجالاتها، وفي حقول التاريخ والتراجم والجغرافيا وفن الرحلة والفلسفة وغير ذلك فحسب، بل شاركوا ايضاً ـ بفضل ما درسوه وتبحَّروا فيه من علوم الأوائل مما كتبه علماء الشرق في بغداد ودمشق ومصر في الحساب والفلك والطب والكيمياء والفيزياء وغير ذلك، ومما أفادوه بالترجمة عن الكتب اليونانية والفارسية والهندية وغيرها من الألسنة واللغات، فكانت مشاركتهم في هذه العلوم وفي العلوم السابقة موضع الثناء من المنصفين المشارقة والأوروبيين وغيرهم في القديم والحديث.

ويكفي أن نورد في هذا المقام أمثلة محدّدة من أَقاليم الغرب الإسلامي ومن أَعلامه الكثر ممن أسهموا في هذه الحقول المعرفية.

فمن علماء المغرب الأَدنى نذكر من علماء تونس في العلوم العددية أو

(204) م. ن.

(205) راجع ابن حزم والفكر الفلسفي للدكتور سالم يفوت.

(206) من شيوخ ابن الخطيب وقد ترجم له في كتاب الإحاطة 4.

الحساب إسماعيل بن يوسف ويعرف بـ«الطلاء المنجم»[207] وأحمد علي التميمي المعروف بابن الكماد[208] وأبا الحسن علي بن أبي الرجال القيرواني[209] ومن علماء المغرب الأوسط الجزائر عُرف أحمد المشهور بابن الفحام الذي وصف بأنه كان «عالماً بالحساب والهندسة والميكانيكا، وله عدّة تآليف، وقد ابتكر أنواعاً كثيرة من الآلات منها (المنجانة) الساعة المشهورة بالمغرب كله»[210].

وابن قنفذ له «حظ النقاب عن وجوه أعمال الحساب» و«بغية الفارض في الحساب والفرائض»[211]، ومن علماء المغرب الأَقصى والأندلس في علم الرياضيات مسلمة بن أَحمد بن قاسم من أعلام القرن الرابع الهجري والمتوفى عام (398هـ/ 1007) وقد وصف بأنه رياضي بل إمام الرياضيين في عهده، ومن كتبه «ثمار العدد» في الحساب، و«اختصار تعديل الكواكب من زيج» في الفلك[212].

ومن علماء الرياضيات في القرن الخامس الهجري أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى التجيبي المعروف بابن الزرقالة المتوفى عام (493هـ/ 1100) وصفه ابن الأبار في تكملة الصلة بأنه «كان واحد عصره في علم العدد والرصد وعلل الأزياج، ولم تأت الأندلس بمثله من حين فتحها المسلمون إلى وقتنا هذا»[213] وله من التآليف «العلم بالصفيحة الزيجية»[214] و«المدخل إلى علم النجوم»[215].

---

(207) نشر أخيراً بتحقيق علمي ممتاز للدكتور محمد الكتاني في دار الثقافة بالدار البيضاء.
(208) ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية 1: 252.
(209) تاريخ أفريقية في العهد الحفصي 2: 388.
(210) م. ن. 2: 388.
(211) موجز التاريخ العام للجزائر: 396.
(212) م. ن.: 398.
(213) من مقال: «رواد المغرب في العلوم البحتة» للأستاذ عبد الحميد محي الدين.
(214) م. ن.، مجلة دعوة الحق ع 286، سنة 1412 ـ 1991.
(215) م. ن.

ومحمد الحصار المكنى أبا زكريا وهو من أعلام العهد الموحدي، له كتاب اسمه «الكتاب الصغير في الحساب» وقد أثنى عليه المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون وعلى كتابه بقوله «ومن أحسن التآليف المبسوطة فيها (يشير إلى العلوم العددية الرياضية) لهذا المعهد بالمغرب كتاب الحصار الصغير»[216].

وعبد الله بن محمد بن حجاج المعروف والمشهور بابن الياسمين وهو من أمازيغ أهل مراكش عاش في فاس، نعت في المصادر بأنه «رياضي برع في عدّة علوم كالهندسة والتنجيم والهيئة وخاصة الحساب والعدد، فكان لا يدرك شأوه فيها»[217].

ومن أعلام المغرب أبو علي الحسن بن علي بن عمر شرف الدين المراكشي من أعلام القرن السابع حلّاه الأستاذ عبد الله كنون ـ رحمه الله ـ بقوله «العالم الرياضي الشهير»[218] ومن آثاره «جامع المبادئ والغايات وعلم الميقات» وصفه الحاج خليفة في كشف الظنون بأنه «أعظم ما صنف في هذا الفن»[219].

ومن أعلام المغرب في هذا العهد أبو الحجاج يوسف بن يحيى المعروف بابن سمعون الذي تبحر في الرياضيات إلى أن استحق قول ابن القفطي فيه «كان طبيباً إسرائيلياً من أهل فاس، وعاشر العلوم الرياضية وأجادها، وكانت حاضرة على ذهنه عند المحاضرة»[220].

ومن أعلام الرياضيات في المغرب على عهد المرينيين أبو العباس أحمد ابن محمد المراكشي المشهور في الحياة الفكرية بابن البناء العدوي، برع في الكثير من العلوم اللغوية والفلسفية والرياضية العددية ومن آثاره «تلخيص أعمال

---

(216) م. ن.

(217) م. ن.

(218) راجع: النبوغ المغربي في الأدب العربي»

(219) كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون: 572.

(220) راجع: أخبار الحكماء للقفطي.

الحساب» و«رفع الحجاب عن تلخيص أعمال الحجاب» وقد أثنى عليه عبد الرحمن بن خلدون[221].

ومن الحيسوبيين في الأندلس أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن بن علي (458/ 1066)[222] وجابر بن أفلح البطروجي القلصادي[223] وأبو بكر محمد بن أحمد الرقوطي، وقد تولّى رئاسة أول مدرسة إسلامية أنشئت في عهد ألفونسو العاشر في مرسية والتي ضمت طلاباً من المسلمين والمسيحيين واليهود[224].

كذلك برع علماء الغرب الإسلامي زيادة على العلوم العددية والحسابية في علوم الطب بنوعيه الوقائي والعلاجي والجراحي التشريحي، إذ مارسوه كشفاً وعلاجاً ومتابعة، وألفوا فيه كتباً مهمة، ومن أهم الأطباء الذين عرفوا في المغرب الأدنى أحمد بن الجزار ويكنى أبا جعفر أصيل مدينة القيروان (ت 369/ 979) ومن آثاره «زاد المسافر وتحفة القادم» ويشمل الأمراض من الرأس إلى القدم، وهو في مجلوبن[225] ومن أطباء القيروان أيضاً الطبيب أعين بن أعين (ت 385/ 995) وابن المعار علي بن أحمد، والأنصاري علي بن زياد، وزياد بن خلفون[226].

ومن أشهر أطباء المهدية أبو جعفر المهداوي، وأبو الصلت أمية، وله «المفردات في الطب» ويشمل عشرين باباً.

ومن أطباء تونس أحمد بن الحشا ومن تآليفه «مفيد العلوم ومبيد الهموم» وأحمد الصقلي (ت 820) وله كتاب «الأدوية المفردة» و«كتاب حفظ الصحة» ومحمد بن عثمان الصقلي (ت 820هـ) صاحب كتاب «المختصر

(221) مقال عبد الحميد محي الدين: «رواد المغرب في العلوم البحتة، مجلة دعوة الحق 1991.
(222) تاريخ الفكر الأندلسي: 455.
(223) (347) م. ن.: 455 و456.
(224) م. ن.: 457.
(225) الطب العربي التونسي: 48.
(226) م. ن.: 75.

الفارسي»[227]، وقد تميزت الأندلس في حضارتها بكثرة الأطباء والنطاسيين البارعين، ومن المفيد هنا أن نشير إلى الكتاب المهم «الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية» للأستاذ محمد العربي الخطابي فقد دلّ فيه على تلك الكثرة والبراعة لأولئك الأطباء الذين نذكر منهم في هذا المقام أبا مروان ابن زهر الأيادي، والزهراوي، والوليد بن رشد، وابن خاتمة الأنصاري، وابن الخطيب، وأبا عبد الله الشقوري اللخمي[228]، كذلك شارك علماء الغرب الإسلامي بالإضافة إلى ما ذكرناه من مساهماتهم وإنجازاتهم العلمية في العلوم والفنون المذكورة، في علوم الهندسة والتنجيم (الهيئة والميقات والزيج) والمنطق (الجدل والمناظرة) والكيمياء والزراعة والبستنة وغيرها من العلوم التي يضيق المجال عن الحديث فيها.

وبعد فتلك شذرات وقطوف دالّة على مفهوم مصطلح «الغرب الإسلامي» والتعريف بآفاقه البشرية والطبيعية والحضارية والمعرفية، فرض وجازتها واختصارها الأسلوب المتوخّى في الدراسة للدلالة على تلك الأَبعاد الكثيرة التي أكّدنا وحدتها وعظمتها وتلاحمها مع الحضارة الإسلامية الزاخرة الباذخة في المشرق، وقد تبينا من خلال تلك الشذرات ـ على وجازتها وابتسارها ـ مبالغ العظمة المادية في المدن والقصور والقلاع والحدائق والمنى، والعظمة العلمية المعرفية والأَدبية التي شارك في حقولها العلماء والمفكرون والأدباء، ومقدار السموّ الحضاري الذي عرف به تاريخه الطويل في الإسلام، والذي شاركت في إثرائه وإغنائه أقاليمه المحصورة في المغرب الأَدنى والمغرب الأوسط، والمغرب الأقصى وملحقاتها، ولكن على أنصباء مختلفة، كما أَلمعنا إلى ما اشتهر به هذا الفضاء الزماني والمكاني الواسع والفسيح من أَعلام العلماء في التفسير والحديث والفقه وأصول الفقه، وعلماء اللغة والأدب الأبيناء،

(227) الطب العربي التونسي: 107.

(228) راجع: الطب والأطباء، في الأندلس الإسلامية، للدكتور محمد العربي الخطابي.

والمؤرخين الأثبات، وعلماء العلوم البحتة من حساب ورياضيات وفلك وهندسة وطب وزراعة.

وهو ـ بلا ريب ـ مجلى يثير الإعجاب والفخر، ويبعث على الزهو والاعتزاز ليس لدى أهل الغرب الإسلامي فحسب، بل لدى المسلمين جميعاً، ولكن دون تطاول أو غرور، أو غمط من مكانة إخوانهم المشارقة الذين اعتادوا نبر الغرب الإسلامي وأعلامه بالقصور والتقصير، وهو ما يتجلّى بعضه في هذا الخبر الذي نختم به القول في هذا البحث، فقد حكي أَنَّ الخليفة هارون الرشيد (170هـ/ 193) ـ رحمه الله تعالى ـ قال لما حضر بين يديه بعض أَهل المغرب، يقال: إنَّ الدنيا بمثابة طائر، ذنبه المغرب، فقال له أحد الحذّاق من المغاربة وقد لمس في كلام الخليفة العجب والزهو والتعريض، «صدقوا يا أمير المؤمنين وإن هذا الطائر طاووس» يشير بذلك إلى أَنَّ أَحسن ما في ذلك الطائر ذيله الموشى وليدل على ما في غربه الإسلامي من العظمة والحضارة فضحك أمير المؤمنين هارون الرشيد، وتعجب من سرعة هاجس المغربي، ودقّة جوابه وانتصاره لوطنه وأفقه المغربي. أو الغرب الإسلامي.